

سوريا



ج

www.alaraby.co.uk AlAraby.ar

كلما ازداد منسوب الإجرام الأسدية - البوتيني - الخامنئي في حق الشعب السوري، ارتفعت وتيرة التراثات الهامشية التي لا طائل منها سوى إشاحة الأنظار عن حجم المجازرة وهوية المجرم. هكذا كان عليه الحال في السنوات الثمانى للثورة - المذبحة، وهذا ما يستمر بنجاح منقطع النظير. تنطلق مجازرة فتكثف اللقاءات حول المنطقة الآمنة التي لا تريدها سوى تركيا لإطفاء هوسها المرضي المسمى خطراً كردياً في شرق الفرات. تتكثف الإبادة فتقحم المذبحة السمجة المسممة لجنة دستورية نفسها على أجندة التراثات التافهة. بعض السخافات خجلت من نفسها فارتأت الانسحاب من المشهد مع عرايبها. عشرات الاجتماعات في جنيف طرحت أوراقاً وتناوبت عليها لجان عمل عندما كانت عواصم التاريخ كحلب تُباد، لمناقشة حجم الكوتا النسائية والمجتمع المدني في أوهام الحل السياسي العتيد. من يذكر اليوم أن شخصاً اسمه غير بيدرسون هو مبعوث دولي خاص إلى سوريا؟ من يأبه باجتماعاته التي نصفها كإعلاميين ببلاده بأنها "مكوكية" في عواصم القرار السوري الموزعة بين موسكو وأنقرة وطهران؟ هل من كلمة مفيدة تُسجل في رصيد الرجل منذ تعيينه خلفاً لذاك الإيطالي - السويسري استيفان دي ميستورا في أكتوبر/تشرين الأول 2018، سوى ما افتتح به "ولايته" باجترار نظرية سلفه إياه: سياسة الأمم المتحدة في سوريا تترجم موازين القوى الدولية المعنية بهذا البلد؟

ربما يكون فلاديمير بوتين، بدمويته الموصوفة، وموهبيته الأمنية العتيبة، وكرهه الفطري الموروث من عصر السوفيت لتحرر الشعوب، هو الحكم الوحيد الذيقرأ التكالب العالمي باكراً: ذات سبتمبر/أيلول 2015، عندما كانت أميركا - باراك أوباما غارقة في حملاتها الانتخابية الرئاسية، كان نظام بشار الأسد يوضّب حقائبه للتوزع بين المنافي الإيرانية - الروسية - الصينية التي يمكن أن تؤوي رموزه. كانت مدن النظام تتتساقط بيد الفصائل المسلحة، ودمشق تترقب ساعة الصفر، ونظامها يسيطر على 20% فقط من أراضي سوريا. غامر بوتين، فضرب ضربته القاضية مدركاً أن أحداً لن يواجهه، سوى

بالعتاب، وهو ما تحقق له بالفعل: اختارت أميركا – أوباما وضعيّة القرد الذي لم يسمع ولم يرَ فلم ينطق بكلمة. استوعب "أصدقاء الشعب السوري" من الحكام العرب الرسالة، وانقسموا بين ملتحق فعلياً بـ"الرؤيّة الروسيّة للحلّ"، أي بالإبقاء على النظام على حساب التخلص من نصف الشعب السوري على الأقل إحقاقاً لـ"تجانس المجتمع السوري"، في نسخة أسدية حديثة لнациّة القرن الواحد والعشرين، وبين مردّ لبّكائيّة الصالونات المغلقة: إن كانت أميركا نفسها غير راغبة بإطاحة الأسد، فما الذي نحن بقدارين على فعله؟ والصادقون بين هؤلاء "الأصدقاء" لم يتربّدوا في الاعتراف بأن نفطهم وغازهم كان سيتعرّض لعقوبات دولية فقط لو كسرّوا الفيتو الأميركي وذوّدوا فصائل المعارضة السورية بصواريخ محمولة تُسقط الطائرات الحربيّة. تثاءبت أوروبا ببيانات مموجة. اغتاظ أردوغان فحول غضبه نحو الأكراد، وانتهت الحكاية: حكمة العام 2015 تفيد بأن من يتجرأ على الضرب أولاً، يكسب وحيداً، إلا إن احتسبت بيانات التندّي بـ"السلوك الروسي غير المسؤول" في خانة الخسارة .

اليوم، يدرك بوتين أن إبادة إدلب وحمّة وريّفهما، الآخذه في الاتساع منذ إبريل/ نيسان الماضي، لن تواجه بأكثر من زعل تركي مرشح لأن يتقدّم إلى عتاب، العتاب المعروف والطبيعي بين الحليفين والذي ينتهي بجلسة مصالحة يرعاها الحليف الإيراني المشترك مثلاً. يشاهد بوتين الطلق الغربي - التركي يتمدد ويقهقه ويرفع كؤوس الفودكا عالياً. وعندما يأتيه مسؤول تركي يلومه على كسر اتفاقيات أستانة وتفاهمات مناطق خفض التصعيد، يستدعي سيرغي لافروف وبقية الجوقة، ويتمّنّى عليهم إبداء بعض المرونة في زيادة عدد ممثلي المجتمع المدني والمعارضة في اللجنة الدستورية، ويسارع ميخائيل بوغدانوف إلى تذكير ضيفه بأن روسيا كانت وما زالت ضد إقامة دولة كردية على حدود تركيا... وتنتهي الحكاية.

المصادر:

العربي الجديد